2024 تموز مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 6
July 2024 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 6
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

بنية السرد في الشعر ...المتنبي انموذجًا

باحث الدكتوراه محمود عامر حسين
الجامعة الإسلامية في لبنان
mahmoodamir515@gmail.com
الأستاذ الدكتورة ساره سليم كنج
محاضر في الجامعة اللبنانية

الملخص:

السرد في الشعر يتجاوز الحدود الصارمة التي يضعها النقاد، ويبحر نحو فضاءات أوسع، فهو مكون رئيس من مكونات بناء القصيدة وتشكيلها تشكيلًا فنيًا مختلفًا، فقد عرف العرب في قصائدهم مرويات حكائية، مثل الشاعر امرئ القيس، وعمر بن أبي ربيعة، وغيرهما من عظماء الشعر العربي، يحتوي على بنية سرديةٍ، من زمان ومكان وحدث ولغةٍ، ومن أشهر الشعراء أحمد بن الحسين المتنبي، الشاعر العربي الشهير، المتوفى سنة (354ه)، وهو من أعاظم الشعراء وأكثرهم شهرةً، ولقد جاء شعره محملا ببنية سرديَّة، ولاسيما في وصفه للمعارك والقتال وانتصارات ممدوحيه وما في هذه القصائد من مشاهد متتابعة وسرد مشوق تشي بعظمة الشاعر ومكانته، كما تعزز السرد كبناء ضروري لأيّ شاعر يجذب المتلقين ويصنع من النص عالم تخييلي جذاب، فالشخصية تظهر فيها تجليات الأنا، أو الآخر، وبشكل مفهوم ويتقبلها القارئ باعتبار أن الشعر يسري في فضاء مكاني وزماني ويقوم به شخصيات.

الكلمات المفتاحية: السرد، البناء، المتنبي، الشخصية.

Narrative structure in poetry...Al-Mutanabbi as a model

Doctoral researcher Mahmoud Amer Hussein
Islamic University of Lebanon
Professor Dr. Sarah Salim King
Lecturer at the Lebanese University

Summary:

Narration in poetry goes beyond the strict limits set by critics, and sails towards broader spaces. It is a major component of building the poem and shaping it into a different artistic form. The Arabs knew narrative narrations in their poems, such as the poet Imru' al-Qais, Omar bin Abi Rabi'a, and other greats of Arab poetry. It contains a narrative structure, of time, place, event, and language. One of the most famous poets is Ahmed bin Al-Hussein Al-Mutanabbi, the famous Arab poet, who died in the year 354 AH. He is one of the greatest and most famous poets. His poetry came loaded with a narrative structure, especially in his descriptions of battles, fighting, and victories. Mamdouhih, and the successive scenes and exciting narration in these poems indicate the greatness and stature of the poet. It also reinforces the narration as a necessary structure for any poet who attracts the recipients and creates an attractive imaginary world out of the text. The character appears in it as manifestations of the self, or the other, in an understandable way and the reader accepts it, considering that poetry flows in a space. Spatial and temporal and carried out by characters.

Keywords: narrative, structure, Al-Mutanabbi, personality.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي واسلم على النبي الأمين، وآل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين.

وبعد،

السرد لحظة فارقة بشرية في تاريخ الانسان، فهو طريقة الانسان في الحكي، والروي، وهي حاجة ماسة وملحة منذ أن عرف الانسان الوجود وتحسس الأشياء، لذلك شاع في الأدب شعرًا ونثرًا، وتمثل في الأدب العربي قديمًا وحديثًا، لذلك تأتي دراستي عن بنية السرد في شعر المتنبي، لما لهذا الشاعر من أهمية قصوى، ومكانة عظيمة في الأدب العربي، فهو الذي نقل الشعر إلى مساحات كثيفة وكثيرة وجديدة، من لغة رصينة، وحكم باهرة، وموهبة فذة، لذلك جاء عنوان بحثي: ((بنية السرد في الشعر المتنبي انموذجًا...))، وقد قسمتُ البحث إلى مقدمةٍ ومبحثين:

المبحث الأول: مفهوم السرد وحضوره في الشعر.

والمبحث الثاني: السرد وعناصره في شعر المتنبي.

ثم خاتمة فيها أبرز النتائج، تليها قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مفهوم السرد وحضوره في الشعر

السرد في اللغة التتابع، يقول ابن سيده: " السَّرْدُ تَقْدِمَةُ شيءٍ إلى شيءٍ ويأتي به مُتَّسِقاً بعضُه في إثْرِ بعضٍ مُتتابعا سَرَدَ الحديثَ ونحَوَه يسرُدُه سَرداً وسَرَدَ القرآنَ تابَعَ قِراءته في حَدْرٍ".[1]

قال ابن منظور: "سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سردا، إذا كان جيد السياق له. وفي صفة كلامه، صلى الله عليه وسلم: لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه".[2]

وفي الاصطلاح فإن معنى السرد فهو فعل يقوم به الراوي الذي ينتج القصة، نثرًا أو شعرًا، وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب، ويشمل السرد، على سبيل التوسع، مجمل الظروف المكانية والزمنية، الواقعية والخيالية، التي تحيط به. فالسرد عملية انتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج، والمروي له دور المستهلك ، والخطاب دور السلعة المنتجة. وتنعقد العلاقة بين الراوي والمروي له في السرد من خلال الأسئلة المباشرة أو غير المباشرة التي يطرحها الأول ليضمن حسن متابعة الثاني الحكايته.[3]

وبعبارة أبسط: "هو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغويةٍ".[4]

وقد عرف هذا اللون القصصي السردي في الشعر منذ العصر الجاهلي، وأكثر ما يشيع هذا اللون في الكتابة الشعرية في موضوعات الحرب والحماس والغزو، لأن الحرب من أبشع الأشياء التي عرفها الانسان، وحاول تمجيدها وكتابتها وما يتخللها من أساطير وبطولات تطبع في الذاكرة، فيكتب ملحمة يعرض ما عانته أمته وقبيلته، وما خلفته من دماء وانتصارات،[5] حتى حاول السرد القصصي في الشعر أن يتحول إلى وثيقةٍ تحفظُ الحدث من الزوال بما ينتجه في يسر في الحفظ والتداول، حتى أصبح البيت الشعري دليلا على صحة ما فيه من أسماء وأماكن وأحداث.[6]

وكثر هذا اللون القصصي الحماسي في شعر الجاهلية، لما يملكونه من نزاع دائم، وثقافة مبنية على الأساطير، والشعر الاسلامي لما به من حماس وفتوحات في شتى الأصقاع، أما في العصر العباسي فقد خفتت إلى أن جاء القرن الرابع، يقول بطرس البستاني في دراسته الهامة: "كان ملوك العرب أشدُ عنايةً

من غيرهم باستخدام الشعر الحماسي، فسيف الدولة حمل المتنبي إلى حلب ودفعه إلى الرواض فعلموه الفروسية والطراد، فكان يصحبه في غزواته إلى بلاد الرومـ ويصف معاركه، ويبعث بشعره الحمية في صدور الرجال... فاستعاد هذا الفن سابق عزه، وكان الفضل في احيائه لشعراء العرب الخلص كالمتنبي... فجددوا به عهد الشعراء الفرسان وابدعوا في وصف التحام الجيوش، ووقع الألسنة والسيوف".[7]

ما يجعلهم ينحو نحو حدثٍ ياستعملون فيه السرد القصصي لتصوير تلك البطولات، لعل في مقدمتهم المتنبي.

المبحث الثاني

السرد في شعر المتنبي

الشخصية:

الشخصية من المكونات الأساس التي يرتكز عليها السرد القصصي قصةً ورواية وشعرًا، ولا يمكن تصور عملٍ يقوم على تقنية السرد من غير شخصيات، فهي من دعاماته[8]، وقد عدّها تودوروف بأنها موضوع القضية السردية[9]. قال رولان بارت "لا يوجد سرد في العالم بلا شخصيات" [10] . تقوم بالأفعال وتوجّه مسار الأحداث، ثُمَّ إنَّ دلالة الخطاب السردي ما هو إلاّ نسيج من رؤى الشخصيات بعدّها فواعل أساس في بنيته الفنية[11].

وتقيم الشخصية علاقات متينة مع بقية العناصر السردية، إذ ترتبط بالحدث ارتباطًا وثيقًا؛ لأن طبيعة الشخصيات وقدراتها في المسار القصصي بوجه عام تأتي بالمقدار الذي يتطلبه الحدث [12].

لتتحول بعدها الشخصية في النص إلى مركز جذب لكل العناصر، من زمان ومكان ولغة، وأشياء وعوالم نفسية واجتماعية، ورموز فنية، وتاريخية وأسطورية تحيل عليها وتتحدد بها[13].

ومن أكثر الشخصيات حضورًا في شعر المتنبي سيف الدولة الحمداني، الذي أكثر المتنبي في مدحه وتصوير بطولاته حتى كان بطله الأثير، فقد وجد المتنبي عنده ما كان يصبو إليه من كرمٍ وجاهٍ ومال، فطابت نفسه، وقصر شعره في تلك الحقبة على تصوير بطولات ذلك الأمير.[14]

فقد أعده الأمير سيف الدولة لحياة الطعان والعراك، وعلموه الفروسية والطراد، وأصبح فارسًا مغوارا.[15]

حاول الشاعر تصوير سيف الدولة على أنه شخصية باسلةٌ، تتصل بالأسطورة لشجاعته، فهو لا يقاتل بجنده وسيفه، بل بكفه أيضا (الطويل):[16]

وَمَنْ تَكُنِ الأَسْدُ الضَّواري جُدُودَهُ يَكُــنْ لَيْلُــه صُــبْحاً وَمَطْعَمُــهُ غَصْــبَا

إذا الدَّوْلَةَ اسْتَكْفَتْ بِهِ في مُلِمَّةٍ مَفَاها فَكانَ السَّيفَ والكَفَّ والقَلْبا

وهذا غاية المدح، عندما تتعاضد أدوات الشخصية في النص الشعري، وينفي عنها كل مساعد، بل تتحول الشخصية/ سيف الدولة إلى محور الحدث، فهو يقول: "إذا طرقت الدولة ملمة، واعترضتها من الحوادث مهمة، كفاها ذلك واستقل به، وجلاه وتجرد له، ففعل السيف، وبطش بطش الكف، ودبر تدبير القلب، واكتفى في جميع ذلك بنفسه، ولم يفتقر فيه إلى غير".[17]

ثم يصور المتنبي كيف ضاقت به الدنيا، ويكسي شخصية الممدوح صفات خارقة، لكن الظروف والأزمنة تتشبث به:

فَتىً يَشْتَهي طُولَ البِلادِ وَوَقْتِهِ تَضِــــيقُ بِــــهِ أَوْقَاتُــــهُ والمَقَاصِــــدُ

فهو يرجو أن تكون البلاد أوسع وأرحب مما هي، والزمان أطول وأوسع لان الأوقات تضيق عما يريد من الأمور ومقاصده من البلاد تضيق عن خيله الغائرة،[18] فسيف الدولة الحمداني عنده "أنموذج أعلى للبطل في صورة عارف ثقف، بعيد النظر، حتى لكأنه أوتي مفاتيح المجهول، وانفرجت أمام أنامل عقله مغالق القدر".[19]

انظر إلى البيتين وكيف منح بطله صفات خارقة حسية ومعنوية (بحر الطويل):[20]

وقفتَ وما في الموت شكٌ لواقف كأنـك فـي جَفْـن الـرَّدى وهْـوَ نـائمُ

تمرّ بكَ الأبطال كَلَمى هَزيمةً ووجهُك وضَّاحُ وثغرُكَ باسِمُ

إنه يقول لسيف الدولة: وقفت غير متهيب، وأقدمت غير متوقع، والموت لا شك فيه عند من وقف موقفك، وتقدم تقدمك، كأنك من الردى في أمكن مواضعه، وهو معرض عنك فيما يتكلف من شدائده. وأشار بجفن الردى إلى عظيم ما اقتحم سيف الدولة لهذه الحرب، ثم قال مؤكداً لما قدمه: تمر بك الأبطال جرحى منهزمين، وكلمي مستسلمين، وذلك لا يثني عزمك، ولا يضعف نفسك، بل كنت حينئذ ضحاكاً غير متوقع، وبساماً غير متضجر، قد وثقت من الله بعاجل نصره، وتيقنت ما وصله منك بجميل صنعه.[21]

ومن الشخصيات التي يذكرها المتنبي شخصية العدو، وهي شخصية هامشية، سلبية جدا، يحط من شأنها، ما ذلك إلا ليرفع من شأن ممدوحه، فهي شخصية لا تهمه ولا تعجبه.[22]

يقول في شخصية الدمستق، وهو من ملوك الأرمن (الطويل):[23]

أفى كل يوم ذا الدُمُستُقُ مُقدمٌ قفـــاهُ علـــى الإقـــدام للوجـــهِ لائـــمُ

أَيُنكِرُ ريحَ اللَيثَ حَتّى يَذوقَهُ وَقَد عَرَفَت ريحَ اللُيوثِ البَهائِمُ

وَقَد فَجَعَتهُ بِابنِهِ وَابنِ صِهرِهِ وَبِالصِهرِ حَملاتُ الأَميرِ الغَواشِمُ

مَضى يَشكُرُ الأَصحابَ في فَوتِهِ الظُبى بِمـــا شَـــغَلَتها هـــامُهُم وَالمَعاصِـــمُ

وَيَفهَمُ صَوتَ المَشرَفِيَّةِ فيهِمِ عَلـــى أَنَّ أَصـــواتَ السُـــيوفِ أَعـــاجِمُ

يُسَرُّ بِما أَعطاكَ لا عَن جَهالَةٍ وَلَكِـــنَّ مَغنومـــاً نَجـــا مِنـــكَ غـــانِمُ

يصور الشاعر هنا شخصية خصم سيف الدولة/ الدمستق في أحوال عدة، لينتج لنا هذا النص ملامح هذه الشخصية، فهو يأتي كل يوم كالبطل ولكنه سرعان ما يعود مخذولا، فهي لا تتمتع بالذكاء الحربي، لأنه يأتي من دون مبالاة، حتى فجيعته بابنه واصهاره، وكذلك يتسم بالجبن، حتى إذا سمع وقع السيوف لاذ بالفرار.[24]

الحدث:

الحدث ذو أهمية قصوى في عملية السرد القصصي، ففي هذا العنصر السردي تتفاعل كل العناصر الباقية ليكون خطًا جامعًا لها فـهو كل ما يؤدي إلى تغيير أمر أو خلق حركة أو إنتاج شيء، ويمكن تحديد الحدث بأنَّه لعبة قوى متواجهة أو متحالفة، تنطوي على أجزاء تشكل بدورها حالات محالفة أو مواجهة بين الشخصيات[25]، ليكون "اقتران زمن بفعل"[26]، وهذه الحركة ليست فوضى تقتحم السرد وإنَّما بناء يحتاج إلى بانٍ حكيم، يعتمد على "سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة وتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية نظام نسقي من الأفعال، فهو غير منفرد أو على هيئة واحدة، بل مستمر متغير متنوع ... فيكون "سلسلة الأحداث في قصة ما والقاعدة التي تربط بعضها ببعض" [27]، فإذا كان الحدث يدل على حصول الفعل فلا بد لهذا الفعل أن يحتاج إلى فاعل وهو ما يسمى بالشخصية التي تعد من أهم العناصر في التقنية السردية، فلا يمكن أن يكون هناك حدث بلا شخصية تقوم به؛ لأنَّها تعد مصدراً للحدث.

ومن الحدث وحضوره في شعر المتنبي عندما تحضر حدث الحرب الطاحنة الشديدة وهو وسيلة لهيمنة الحدث (بحر البسيط):[28]

بِالجَيشِ تَمتَنِعُ السادَاتُ كُلّهُمُ وَالجَـيشُ بِـابنِ أَبـي الهَيجـاءِ يَمتَنِـعُ
قادَ المَقانِبَ أَقصى شُربِها نَهَلٌ عَلى الشَكيمِ وَأَدنى سَيرِها سِرَعُ
لا يَعتَقي بَلَدٌ مَسراهُ عَن بَلَدٍ كَالمَوتِ لَيسَ لَهُ رِيٌّ وَلا شِبَعُ
حَتّى أَقامَ عَلى أَرباضِ خَرشَنَةٍ تَشـقى بِـهِ الـرومُ وَالصُـلبانُ وَالبِيَـعُ
لِلسَبيِ ما نَكَحوا وَالقَتلِ ما وَلَدوا وَالنَهـبِ مـا جَمَعـوا وَالنـارِ مـا زَرَعـوا
مُخلىً لَهُ المَرجُ مَنصوباً بِصارِخَةٍ لَـهُ المَنـابِرُ مَشـهوداً بِهـا الجُمَـعُ

يبدأ الحدث بالنصر لسيف الدولة الذي قاد الجيش بسرعةٍ حتى أن الخيل المسرعة كان أقصى شربها واستراحتها مرة واحدة، يسير لفتح البلاد والسيطرة عليها، ويستمر تقدمه مسرعا يشكل حدث الحرب حدثا محوريا في حياة أبي الطيب، ومن هذا الحدث يبني الشاعر سرده القصصي وبناءه الفني.

الزمان:

يعد عنصر الزمن الزمن عنصر أساس من العناصر الفاعلة في تركيب تقنية السرد ومؤثرٌ في العناصر الأخرى فهو "يتجسد في الشخصيات ظاهر من خلالها، ومن ثم سرعته نفسية تحددها سرعة الحدث أو ابطاؤه"[29]، ويشع على العناصر متجسداً فيها ومؤثرا حركته في بعضها، فيتعامل معها على أساس الارتداد والصدمة في السرعة والبطء والاتساع والاحتواء؛ لكن لا يمكن أن نتخلى عنه؛ كما يرى جيرار جينيت "إنَّ من الممكن أن نقص الحكاية دون تعيين مكان الحدث ولو كان بعيداً عن المكان الذي نرويها فيه، بينما قد يستحيل علينا ألا نحدد زمنها بالنسبة إلى زمن فعل السرد لأنَّ علينا روايتها إما بزمن الحاضر وإما بزمن الماضي وإما بزمن المستقبل؛ ربما بسبب ذلك كان تعيين زمن السرد أهم من تعيين مكانه"[30]، ومن هذا المنطلق بدأت ملامح تقسيم الزمن تتضح ثم تفصل إلى أجزاء متصلة بالماضي السردي التذكري والحاضر الآني، الذي يقوم بدوره بتفعيل حركة السرد فضلاً عن استشراف المستقبل بقرائن، أو زمنية سردية بتطبيق هذه التقنيات التي عمد القاص إلى توظيفها داخل المتن الروائي لذلك "لا يعمل زمن الفعل على تعيين الوقتية لكنَّه يعني أيضاً إنَّه علاقة بين الذي يتحدث والمتحدث عنه أي تشخيص الزمن في علاقته مع لحظة التلفظ هو ما نسميه بتعبير أوسع زمن الخطاب"[31]، وإنَّما التلاعب في تركيب الزمن من التقنيات المهمة التي يلجأ إليها كل روائي فمنها ما يأتي دون قصدية ومنها ما يدفع الكاتب توظيفه "لأنَّ الزمن محوري وعليه تترتب عناصر التشويق والإيقاع والاستمرار، ثم إنَّه يحدد في الوقت نفسه دوافع أخرى محركة"[32]، وهذه الدوافع يتنامى فيها دافع الاسلوب والتوظيف مع دافع القراءة والاستيعاب والقدرة على الغوص في أثناء النص والعيش في أجوائه فـإنَّ "زمن القصة هو زمن التجربة الواقعية المدركة ذهنياً فهو زمن خطي، ومادة خام مدركة ذهنياً، وبذلك ننتقل من التجربة الذهنية إلى التجربة الذاتية للكاتب، وهي تسعى لتجسيد نظرة مختلفة للزمن، يبرز من خلالها الواقع الذهني ليبرز واقعاً نفسياً مدركاً من خلال تعامل الذات مع الزمن"[33]، فالزمن السردي له الدور الفاعل كما هو دور الزمن في المحيط بالعالم المعيش.

ثم أنَّ الزمن في الشعر يختلف عن النثر، لأن الشاعر يعمل على تكثيف وايجاز الكثير من التفاصيل بحكم ضرورة الشعر وبنيته، فهو يترك ما لا يفيد النص من أحداث.[34]

ومن تقنيات الزمن يستعمل **الاسترجاع** : الذي يقوم على إعادة اجترار الفعل الماضي لسير الاحداث على نظام التذكر على أثر حافز دفع الراوي إلى هذا الارتداد والرجوع إلى الماضي فـ "الاسترجاع مخالفة لسير السرد تقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق"[35]

وتشرح الدكتورة سيزا قاسم مفهوم الاسترجاع وأنواعه على النحو التالي:
يترك الراوي مستوى القص الأول ثم يعود إلى بعض الأحداث الخالية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها. والماضي يتميز أيضاً بمستويات مختلفة متفاوتة من ماضي بعيد وقريب ومن ذلك نشأت أنواع مختلفة من الاسترجاع:

1. استرجاع خارجي، يعود إلى ما قبل بداية السرد وزمن القص.
2. استرجاع داخلي، يعود إلى ماضٍ لاحق لبداية السرد قد تأخر تقديمه في النص.
3. استرجاع مزجي، وهو ما يجمع بين النوعين.[36]

من الاسترجاع الخارجي قول الشاعر المتنبي:[37]

قَصَدوا هَدمَ سورِها فَبَنوهُ وَأتَـــوا كَـــي يُقَصِّـــروهُ فَطـــالا
وَاِستَجَرّوا مَكايِدَ الحَربِ حَتّى تَرَكوها لَها عَلَيهِم وَبالا
رُبَّ أَمرٍ أَتاكَ لا تَحمَدُ الفِعـ ـعالَ فيهِ وَتَحمَدُ الأَفعالا
وَقِسِيٍّ رُميتَ عَنها فَرَدَّت فـــي قُلـــوبِ الرُمـــاةِ عَنـــكَ النِصـــالا
أَبصَرُا الطَعنَ في القُلوبِ دِراكاً قَبـــلَ أَن يُبصِـــروا الرِمـــاحَ خَيـــالا

يأتي الشاعر المتنبي على تصوير حرب جرت أحداثها بين الروم وجيش سيف الدولة الحمداني، وهذه الحرب سجل الشاعر أحداثها قبل زمن القصيدة، وصار الشاعر يستحضر زمن القصيدة وتفاصيلها على نحو دقيقٍ، وهو بهذا يقصد دلالات كثيرة، منها أن سيف الدولة كثير النصر، حتى استعمل في المدح خاصية الاسترجاع الخارجي، ومن دلالته أن حروبه كثيرة حتى أنه لم يعد يعبأ بها بل يستذكرها استذكارا.

ومن الاسترجاع الداخلي قوله (الوافر):[38]

لَقوهُ حاسِراً في دِرعِ صُربٍ دَقيـــقِ النَســـجِ مُلتَهِـــبِ الحَواشـــي
كَأَنَّ عَلى الجَماجِمِ مِنهُ ناراً وَأيدي القَومِ أَجنِحَةَ الفَراشِ

وَرائِعُها وَحيدٌ لَم يَرُعهُ تَباعُـــدُ جَيشِـــهِ وَالمُســـتَجاشِ
كَأَنَّ تَلَوّيَ النُشّابِ فيهِ تَلَـوّي الخُـوصِ فـي سَـعَفِ العِشـاشِ
وَنَهبُ نُفوسِ أَهلِ النَهبِ أولى بِأَهـلِ المَجـدِ مِـن نَهـبِ القُمـاشِ

يصور المتنبي مشهد بطل يستحوذ على القصيدة بمشهدٍ حربيٍّ متتابعٍ متسارع، يعلو من هذه الشخصية الرئيسة المركزية، وكيف أنه التقى بالجيش وحده، والحق أن الشاعر همَّش باقي الشخصيات وجعل البطل يستفرد بالمشهد، فجعله حاسرًا، لا درع عليه، إنما يخرج عاري الصدر، وأراد أنه من ضربه الأعداء في درع لأن ضربه بالسيف يحميه ولما جعل ذلك درعا له جعله دقيق النسج وإن لم يكن هناك نسج أو شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق ولهذا قال (ملتهب الحواشي) لأنه أراد به السيف الذي كأنه نار تلتهب وذكر الدرع على اللفظ،[39] فكأنه يحرق الجماجم لشدتها، وهذا الاسترجاع كله جاء لتبجيل الشخصية البطلة.

المكان:

وهو عنصر سردي محمل بأهميةً بالغة التعقيد، فهو على تماس مباشرٌ مع العناصر السردية الأخرى، إذ يُمثّل المكان في الأدبِ البُعدَ الماديّ للواقع الذي تجري فيه الأحداث[40]، وهو مساحةٌ رئيسة ومهمة وذات أبعادٍ هندسية تحكمها المقاييسُ والحجوم الدقيقة، ونظامٌ شامل من العلاقات المجرّدة يُستخرَجُ من الأشياء الملموسة بقدْرِ ما يُستمدُّ من التجريد الذهنيّ[41]؛ ولذا فإنَّ فاعليةَ المكان في الرؤية الإبداعية متأتّيةٌ ممّا يشتمل عليه من علاقاتٍ مدركة عارفة، أو متخيلة من السارد، فهو وإنْ كان يستقي جانباً مهماً من قيمتهِ من طاقةِ التخيُّل، لكنّه لا يكتسب ملامحه وديمومتَه إذا لم يتماثلْ بدرجةٍ أو بأخرى مع العالم خارجَ النصّ؛ لتعذُّرِ رسمِ الأحداث والشخصيات، وتجسيدِ حركاتها المتباينة في مكان لا معالمَ ولا ملامحَ له[42].

والمكان في الشعر ينزعُ نحو المجاز ويميل في معظمه إلى الغموض، وبذا يتخلى الشاعر عن عرض المكان صورة فوتوغرافية كما في النص الروائي.[43]

يقسم المكان إلى مفتوحٍ ومغلق، ونعني بالمفتوح ذا الامتداد الواسع، كالصحراء، والمغلق الذي يكون في مساحة ضيقة كالبيت السجن، "وليس ثمة فرق بين مكان مغلق وآخرَ منفتح في الفنّ، والفرق الوحيد بينهما من حيث كونهما مكانين مُسميين في الطبيعة . أمّا عند الفنان، فقد يكون المكان قيمة فنية وجمالية، على الرغم، من محدودية مساحته، وقد يكون أكثر ضيقاً عند كاتبٍ ضيّقِ المُخيلة"[44] .

فمن المفتوح الذي يعمد الشاعر لتصوير معركة في بقعةٍ مكانية مفتوحة، وهي أرض النزال وما لهذه الأرض من تأثير في السرد القصصي (بحر الطويل):

وَأشقى بِلادِ اللهِ ما الرومُ أهلُها ... بِهَـذا وَمـا فيهـا لِمَجـدِكَ جاحِـدُ
شَنَئتَ بِها الغاراتِ حَتّى تَرَكتَها ... وَجَفنُ الّذي خَلفَ الفَرَنجَةَ ساهِدُ
مُخَضَّبَةً وَالقَومُ صَرعى كَأَنّها ... وَإِن لَم يَكونوا ساجِدينَ مَساجِدُ
تُنَكِّسُهُم وَالسابِقاتُ جِبالُهُم ... وَتَطعَـنُ فـيهِم وَالرِمـاحُ المَكايِـدُ

يرى الشاعر المتنبي أن اسوأ البلاد والأمكنة هي التي لا يكون فيها ممدوحه (سيف الدولة) وسكانها من أعدائه، فهو يحول وظيفة الأرض إلى وظيفةٍ سلبيةٍ عدائية، فثمة أماكن لا يشعر الإنسان تجاهها بالألفة والمحبة بل العكس من ذلك يشعر نحوها بالعداء والمقت والكراهية، وهذه الأماكن أما أن يقيم فيها الإنسان مرغما ومجبرا، مثل السجون، والمنافي، أو أماكن يشعر الإنسان أن خطر الموت يكمن فيها لسبب أو لآخر، مثل الصحراء وغيرها، [45] فهي تنهض "بمهمة رئيسة في تجسيد فكرة اللامكان لأنها تعبير عن فقدان التماهي بين الشخصيات والمفردات المكانية، والابتعاد عن التفاعل مع جمالياتها"[46].
يصور المتنبي الأرض متعبةٌ، وحتى لون الأرض تغيرت ونفرت من طبيعتها، فهي ملطخة بدمائهم وأهلها مقتولون مصروعون فكأنهم مساجد طليت بالخلوق وكأنهم سجد على الأرض وإن لم يسجدوا على وجه الحقيقة، وبذلك يكتسب المكان دلالة المذلة والمهانة، ويضيق على أهله رغم سعته، وذلك بفعل غارات التي شنها سيف الدولة.

ويقول في المكان المغلق (الكامل):[47]

لَمّا تُحَكَّمَتِ الأَسِنّة فيهِم ... جـارَت وَهُـنَّ يَجُـرنَ فـي الأَحكـامِ
فَتَرَكتَهُم خَلَلَ البُيوتِ كَأَنّما ... غَضِبَت رُؤوسُهُمُ عَلى الأَجسامِ
أَحجارُ ناسٍ فَوقَ أَرضٍ مِن دَمٍ ... وَنُجومُ بَيضٍ في سَماءِ قَتامِ

وَذِراعُ كُلِّ أَبي فَلانٍ كُنيَة حالَـت فَصاحِبـــــــُها أَبـو الأَيتـامِ

ينقل المتنبي معركته من الفلاة والساحات المفتوحة إلى البيوتات، فهم قتلى على الأرض وفي بيوتاتهم، الذي يعدُ أشد الأماكن ألفة، وهو الذي يستحوذ على مساحات سردية كبيرة، وهو النقطة الأساسية التي انطلق منها غاستون باشلار في كتابه (شعرية المكان)[48]، البيت القديم فهو بيت الطفولة ومكان الألفة، ومركز تكثيف الخيال. فما أن نبتعد عنه حتى نظل دائما نستعيد ذكراه، وهو يمثل الحماية والأمن، إنه "يركز الوجود داخل حدود تمنح الحماية"[49]. كما يؤكد باشلار أن البيت يجعلنا نعيش لحظاته من خلال الأدراج، والصناديق، والخزائن التي يسميها هو "بيت الأشياء"[50]. ففي الأبيات أعلاه يتحول إلى مكان للموت، فيه رؤوس مقطوعة، فقد تحول إلى مكان تقشعر له الأبدان.

الخاتمة

والآن نقف عند أبرز النتائج:

1- السرد موضوع مهم في الأدب ولاسيما في الشعر العربي، فقد عرف هذا اللون القصصي السردي في الشعر منذ العصر الجاهلي، وأكثر ما يشيع هذا اللون في الكتابة الشعرية في موضوعات الحرب والحماس والغزو، لأن الحرب من أبشع الأشياء التي عرفها الانسان، وحاول تمجيدها وكتابتها وما يتخللها من أساطير وبطولات تطبع في الذاكرة، فيكتب ملحمة يعرض ما عانته أمته وقبيلته، وما خلفته من دماء وانتصارات.

2- حاول السرد القصصي في الشعر أن يتحول إلى وثيقةٍ تحفظُ الحدث من الزوال بما ينتجه في يسر في الحفظ والتداول، حتى أصبح البيت الشعري دليلا على صحة ما فيه من أسماء وأماكن وأحداث.

3- شاع هذا اللون في شعر المتنبي، إذ بني شعره على شتى القانات السردية، وقد استطاع المتنبي ببراعة أن يستعمل في شعره كل ألوان السرد، لما فيه من قدرة على خلق اختلاف في النص الشعري.

قائمة المصادر والمراجع

1. الأدب وفنونه، عز الدين اسماعيل، عز الدين إسماعيل (ت ١٤٢٨هـ)، دار الفكر العربي، بيروت.
2. إشكالية المكان في النصّ الأدبيّ، ياسين النُّصيّر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، 1986م.
3. ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، داود سلمان الشويلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2000م.
4. أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، الأجيال للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
5. انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2001م.
6. بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1984م.

7. بناء الرواية، أدوين موير، ترجمة: إبراهيم الصيرفي، دار الجيل للطباعة، القاهرة، ط2، 1995م.
8. البناء السردي في شعر الحروب في القرن الرابع الهجري، مريم جعفر صادق، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، 2016م.
9. التراث والرؤية الشعرية للواقع العربي، حاتم الصكر، د. اعتدال عثمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، 1986م.
10..
11. جماليات المكان، غاستون باشلار ، ترجمة غالب الهلسا.
12. خطاب السرد القصصي من التدليل إلى التأويل، عبد الله إبراهيم، مجلة الأديب المعاصر، ع44، 1992م.
13. دراسات في القصة العربية الحديثة، د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

14. ديوان المتنبي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986م.
15. الراوي والنص القصصي، عبد الرحيم الكردي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 1996م.
16. الرواية والمكان (دراسة في فن الرواية العراقية)، ياسين النصير، دار الشؤون تلثقافية، بغداد.
17. سحر النص من أجنحة الشعر إلى أفق السرد، .د. محمد صابر عبيد.
18. سيف الدولة وعصر الحمدانيين، سامي الكيالي.
19. الشخصية في روايات علي بدر، محمد رضا كريم، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2014م.
20. شرح ديوان المتنبي للواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨ هـ)، المكتبة الشاملة، غير موافق للمطبوع، 223.
21. شَرْح شِعْر المُتَنبي للإفليلي، إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفلِيلي (ت ٤٤١ هـ)، تحقيق: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.
22. شعر الحرب في أدب العرب، بطرس البستاني، دار مارون عبود، بيروت، ط2، 1979م،
23. شعراء الأعصر العباسية، بطرس البستاني، دار مارون عبود، 1979م.
24. عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم، تقديم: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م.
25. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414.
26. المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج، علي شلق، منشورات وزارة الثقافة، العراق، ط1، 1977م.
27. المتنبي، محمود شاكر، دار المدني بجدة، 1987، ط1.
28. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت: 458هـ، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
29. مدخل إلى التحليل البنيوي للقص، رولان بارت، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء العربي، بيروت، ع5، 1989م.

30.معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2002.
31.مفاهيم سردية، تزفطيان تودوروف، ترجمة: عبدالرحمن مزبان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005م.

الهوامش

[01] المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، 447/8.

[2] لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 211/3.

[3] ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2002، 105.

[4] الأدب وفنونه، عز الدين اسماعيل، عز الدين إسماعيل (ت ١٤٢٨هـ)، دار الفكر العربي، بيروت، 127.

[5] ينظر: شعر الحرب في أدب العرب، بطرس البستاني، دار مارون عبود، بيروت، ط2، 1979م، 17.

[6] ينظر:الراوي والنص القصصي، عبد الرحيم الكردي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 1996م، 167.

[7] شعراء الأعصر العباسية، بطرس البستاني، دار مارون عبود، 1979م، 3003.

[8] ينظر: عودة إلى خطاب الحكاية، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم، تقديم: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م: 179.

[9] ينظر: مفاهيم سردية، تزفطيان تودوروف، ترجمة: عبدالرحمن مزبان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005م: 73.

[10] مدخل إلى التحليل البنيوي للقص، رولان بارت، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء العربي، بيروت، ع5، 1989م: 19.

[11] يُنظر: خطاب السرد القصصي من التدليل إلى التأويل، عبد الله إبراهيم، مجلة الأديب المعاصر، ع44، 1992م: 12.

[12] ينظر: بناء الرواية، أودين موير، ترجمة: إبراهيم الصيرفي، دار الجيل، مصر، (د.ط)، (د.ت): 16.

[13] الشخصية في روايات علي بدر، محمد رضا كريم، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2014م: 6.

[14] ينظر: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، الأجيال للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، 345.

[15] ينظر: سيف الدولة وعصر الحمدانيين، سامي الكيالي، 137.

[16] ديوان المتنبي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، 185/1-186.

[17] شَرْح شِعْر المُتَنبي للإفليلي، إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفلِيلي (ت ٤٤١هـ)، تحقيق: مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م: 23/2.

[18] ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، المكتبة الشاملة، غير موافق للمطبوع، 223.

[19] المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج، علي شلق، منشورات وزارة الثقافة، العراق، ط1، 1977، 50.

[20] ديوان المتنبي، 101/4-102.

[21] ينظر: شرح معاني شعر المتنبي: 253/2.

[22] ينظر: المتنبي، محمود شاكر، دار المدني بجدة، 1987، ط1، 207.

(23) ديوان المتنبي، 106-108.

(24) ينظر: البناء السردي في شعر الحروب في القرن الرابع الهجري، مريم جعفر صادق، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، 2016، 47.

(25) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية: 74 .

(26) دراسات في القصة العربية الحديثة، د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، (د.ط)، (د.ت): 11.

(27) بناء الرواية، أدوين موير: 11.

(28) ديوان المتنبي، 2/ 333-334.

(29) بناء الرواية، أدوين موير، ترجمة: إبراهيم الصيرفي، دار الجيل للطباعة، القاهرة، ط2، 1995م: 96.

(30) معجم مصطلحات نقد الرواية: 103 .

(31) مفاهيم سردية:107.

(32) بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1984م، ص34.

(33) انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2001م، 47.

(34) ينظر: ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، داود سلمان الشويلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2000م: 74.

(35) معجم مصطلحات نقد الرواية: 18 .

(36) ينظر: بناء الرواية: 40.

(37) ديوان المتنبي، 358/3.

(38) المصدر نفسه، 317/2-318.

(39) ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: 180.

(40) ينظر: إشكالية المكان في النصّ الأدبيّ، ياسين النُّصيّر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، 1986م: 155.

(41) ينظر: التراث والرؤية الشعرية للواقع العربي، حاتم الصكر، د. اعتدال عثمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.ط)، 1986م :51 .

(42) ينظر: البناء الفنيّ لرواية الحرب في العراق: 127 .

(43) ينظر: المكان في الشعر الأندلسي، 10.

(44) الرواية والمكان (دراسة في فن الرواية العراقية): 65 .

(45) ينظر : البناء الفني في الرواية العربية، 2/ 129 .

(46) سحر النص _ من أجنحة الشعر إلى أفق السرد_ ، .د. محمد صابر عبيد، 185.

(47) ديوان المتنبي، 127/3-128.

(48) جماليات المكان: 9. مقدمة غالب هلسا.

(49)(49) – جماليات المكان، غاستون باشلار : (9). مقدمة المترجم

(50) المصدر نفسه: 9.